هِيَ القُدْسُ

مُهْدَاةٌ لِلمُنَاضِلِ الشَّاعِرِ الفِلَسْطِينِيِّ الكَبِيرِ/ سَمِيح القَاسِم، تَوَاصُلاً مَعَ رَائِعَتِهِ الشِّعْرِيَّةِ "اسْمُهَا القُدْسُ".

شعر/ د. أحمد علي منصور

(شاعر وناقد من مصر)

لَمْ تَكُن مَّحْضَ قَافِيَةٍ

يَا "سَمِيحْ" ...

إِنَّمَا وَخْزَةٌ نَّكَّأَتْ

بِالْفُؤَادِ الذَّبِيحْ !

وطَوَّحَتِ الرُّوحَ

خَلْفَ تُخُومِ الْوُجُومِ ...

مُسَرْبَلَةً فِي جَحِيمٍ مُّقِيمْ !

وقَبْر كَبِيرٍ قَبِيحٍ ...

قَبِيحْ !!!!!

تُصَلِّي وتَسْتَغْفِرُ اللهَ؛

تَسْأَلُهُ عِتْقَهَا ...

مِنْ سَوَاءِ الْجَحِيمْ !!!!

لِكَيْمَا تَعُودَ إِلَى الشِّعْرِ

والأُمْنِيَاتْ !!

وطُهْرِ الطُّفُولَةِ ...

والأُغْنِيَاتْ !!

عَسَاهَا .. إِذًا .. تَسْتَرِيحْ !!

وَلَكِنَّهَا تَجِدُ اللهَ

... وهْوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ...

غَضُوبًا عَلَيْهَا ...

وحِينَ أَرَادَتْ تَمُدُّ يَدَيْهَا،

وتَطْلُبُ مِنْهُ السَّمَاحَ،

يَرُدُّ يَدَيْهَا .. ويَتْرُكُهَا ..

لِلْجِرَاحِ، وجَمْجَمَةِ الرِّيحِ ؛

تَقْصِمُهَا لَعَنَاتُ الرِّيَاحِ ؛

فَتَصْرُخُ : يَا رَبَّنَا.. رَبَّنَا ؛

يَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .. إِلَهِي !!!

كَيْفَ تَطْرُدُنِي رَحْمَةٌ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ؟!!

وأَنْتَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، الْغَفُورُ الْعَفُوُّ الْكَرِيمُ ؟!

إِلَهِي .... !!!

يَرُدُّ الْمَلائِكُ كُلُّهُمُو غَاضِبِينْ :

رَحْمَةُ اللهِ فِي الْقُدْسِ ...

ضَيَّعْتُمُوهَا فَلاَ تَطْلُبُوهَا !!

فَأَوْلَى بِهَا أُمَّهَاتُ الثَّكَالَى ..

أَنِينُ الْيَتَامَى ..

نَشِيجُ الأَيَامَى ..

وقَدْ مَزَّقَ الْخَوْفُ أَشْلاءَ أَكْبَادِهِمْ،

ثُمَّ مَرَّغَهُمْ فِي تُرَابِ الْهَوَانْ !!

فَأَفْئِدَةُ الْخَلْقِ ...

تِلْكَ الَّتِي أَوْدَعَ اللهُ فِي ظُلُمَاتِ الْجُسُومْ !!!

هِيَ تِلْكَ الَّتِي اسْتَوْدَعَتْ رَحْمَةَ اللهِ

مُنْذُ الزَّمَانِ الْقَدِيمْ !!

وقَالَ لَهَا : رَحْمَةَ اللهِ كُونِي ..

فَكَانَتْ، وكَانَ الْوُجُودُ الْعَظِيمْ !!!

رَحْمَةُ اللهِ ؟!!!

لا.. لَنْ تَعُودَ – كَمَا تَحْلُمُونَ–

بِكُنْ فَيَكُونْ !!

أَيْـنَ تِلْكَ الْقُلُوبْ ؟!!

أَيْنَ كَانَتْ إِذِ انْـتَبَذَ النَّاسُ

أَوْجَاعَ أُمٍّ تُلَمْلِمُ أَشْلاءَ وِلْدَانِهَا،

تَحْتَ قَصْفِ الْمَدَافِعْ ؟!!!

تُبَعْثِرُ أَنْقَاضَ أَحْلامِهَا...

فِي خِضَمِّ الْمَدَامِعْ ؟!!!

تُهِيلُ الثَّرَى ....

فَوْقَ رَأْسِ الْغَدِ الْمُدْلَهِمِّ الْخَصِيمْ ؟!!!

هُنَالِكَ فِي "أُورشَلِيمْ" !!!

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ ..

يَا أَيُّهَا النَّاسُ

أَيْنَ تِلْكَ الْقُلُوبُ ؛

فَهَلْ تَذْكُرُونْ ؟!!!

كَوَاعِبَ أَتْرَابِنَا شَاحِبَاتٍ ...

بِمَأْتَمِ أَحْلامِهِنَّ !!!

سَبَايَا ...

لأَشْبَاحِ لَيْلِ الْخَرَابْ ؟!!

فَيَرْتَشِقُ الْحُزْنُ..

فِي مُضْغَةِ الْقَلْبِ..

رَشْقَ الْحِرَابْ !!!

وهَلْ تَذْكُرُونْ ؟!!!

عَرُوسًا .. وكَم مِّنْ عَرُوسٍ ،

تُكَفِّنُ أَحْلامَهَا لَيْلَةَ الْعُرْسِ ،

تَدْفِنُ آمَالَهَا النَّازِفَاتِ ....

بِقَبْرِ فَتَاهَا !!

... لَيْلَةَ الْعُرْسِ ... يَاهَ !!!

وتَقَوَّضُ الْعُشُّ الْمَفْرُوشُ،

تَحْتَ رُكَامِ التُّرَابِ الأَثِيمْ !!

آهَ هَلْ تَذْكُرُونَ ؟!! ؛

ذَا واهْتَزَّ الْعَرْشُ الْمَعْرُوشُ

صَوْبَ رُعَافِ الأَنِينْ !!

هُنَاكَ ... فِي الْعُشِّ الْمَهْدُومْ !!

يَا اللهَ ... مَـا لَكُمْ لا تَهْتَزُّونَ !!!

مَـا ... لَكُمْ ؟!!!

...

وأُخْرَى ...

هَا هُنَاكَ فِي حُفْرَةٍ قَرِيبَةٍ ؛

هَـاكَ فَانْظُرُوهَا .....

تَخَطَّفَهَا الْمَوْتُ وهْيَ ...

بِحِضْنِ فَتَاهَا فَزُفَّا ...

إِلَى الْقَبْرِ فِي لَيْلَةِ الْحُلْمِ الْهَضِيمِ ؛

أَوْ ...

زَفَّهَا فِي انْكِسَارٍ فَتَاهَا !!

وأُخْرَى ..

تُشَيِّعُ فِي لَهْفَةٍ أَبَوَيْنِ؛

أَنْصُتُوهَـا ، وأُخْرَى ..

تُوَدِّعُ فِي حَسْرَةٍ أَخَوَيْنِ ،

مَنْ يَمُدُّ لَـهَا يُؤَاسِيهَا ؟!!

يَا اللهَ، وأُخْرَى سِوَاهُنَّ مِثْلَهُنَّ ،

تُوَدِّعُ كُلَّ هَؤُلاءِ جَمِيعًا

بِقَصْفَةٍ وَاحِدَةٍ ؛
لِتَعِيشَ مَقْصُوصَةَ الْجَنَاحِ
مَبْتُورَةَ الْفُؤَادِ ؛
حَتَّى يَحِينَ عَلَيْهَا الرَّصَدُ الْمَسْعُورُ؛
يُرْدِيهَا فِي الْجَحِيمِ الْمَفْجُورِ؛
وَاحِدَةً بِلا سَاعِدٍ ولا يَدٍ ،
ولا جَنَاحٍ فَيُعِينُ ...
بِنَوَائِبِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ؛
لَمْ يَعُدْ لا أَخٌ ،
لا أَبٌ ،
لا قَرِيبَ،
لا ..
ولا طَبِيبَ آسِيًا ،
ولا حَبِيبَ ....
لا .... !!!
أَلا ... تَذْكُرُونَ !!
وأُخْرَى،
وأُخْرَى، وأُخْرَى؛
مَـا.. لَكُمْ لا تَعُدُّونَ؛ ثُمَّ ..
يَلْتَهِمُ اللَّيلُ أَحْشَاءَهَا ..
آخِرَ الْوَيْلِ يَمْضُغُهَا كَاللِّبَانِ،
ويَلْفَظُهَا مَيْتَةً ....
عِندَ بَابِ الصَّبَـاحْ !!!
هُوَ لَيْلٌ جَبَانْ !!!
هُوَ لَيْلٌ جَبَانْ !!!
****

هَكَذَا يَا "سَمِيحُ" ...

مَا بَعْدَ هَذَا أَقُولُ ؛

ذَا طَرَدَتْنِي الْمَلائِكُ مِن مَّلَكُوتِ الإِلَهْ !!!

حَرَمَتْنِي الْحَيَاهْ !!!

لأَنِّي ، كَمَا يَقُولُونَ ،

لَمْ أَزْرَعِ السُّنْبُلاتِ بِأَرْضِ الْجُدُودِ ،

وأَنِّي ..

وَقَفْتُ كَسِيرًا حَسِيرًا وَرَاءَ السُّدُودِ ،

وأَنِّـيَ لَمَّا ...

أُحَاوِلُ كَسْرَ قُيُودِي،

كَأَنِّي ..

خُلِقْتُ لِهَذِي الْقُيُودِ !!

وأَنِّي ..

فَرَرْتُ أَمَامَ عُوَاءِ الذِّئَابِ

ونَبْحِ الْكِلابِ ،

تُعَرْبِدُ بَيْنَ الدِّيَارِ ،

تُحَاصِرُ كُلَّ الْحُدُودْ !!!

وأَنِّي ،

وأَنِّي ،

وأَنِّي !!!

هَكَذَا طَرَدَتْنِي الْمَلائِكُ

مِن مُّلْكِ رَبِّي،

ورَحْمَـةِ رَبِّـي،

وقَالُوا لأَنِّي ...

أُصَدِّقُ أَوْهَامَ قَوْمِي ،

وهُمْ يَعْلَكُونَ الْكَلامْ !!

ويَسْتَبْشِرُونَ صَبَاحَ مَسَاءَ،

بِقُرْبِ الْوِفَاقِ ..

ورَأْبِ الشِّقَاقِ ..

ورَدْمِ بُحُورِ الدِّمَاءْ !!

وإِحْلالِ مَا يَفْتَهُونَ ،

يُسَمُّونَهُ بِالسَّلامْ !!

هَكَذَا هُمْ يَقُولُونَ ؛

فَيَا رَبِّ سَلِّمْ !!

وهَلْ بِوُسْعِي أَنَا مِنْ شَيْءٍ ؛

إِذًا لافْتَدَيْتُهَا بِالْعُيُونِ !!

لَكِنَّهُ الْعَقِيمُ ؛

الْعَقِيمُ يَا رَبِّ سَلِّمْ !!

فَسِتُّونَ عَامًا تَمُرُّ،

وسَبعُونَ عَامًا تَمُرُّ،

وأَلْفُ حَدِيثٍ، ومُؤْتَمَرٍ ولِقَاءٍ !!

وكُلُّ الْكَلامِ طَعَامُ الْهَوَاءْ !!

وقَرْنُ النَّوَائِبِ مَرَّ ،

وقَرْنٌ جَدِيدٌ أَتَى ،

وأَرَاهُ أَمَـرَّ !!

ومَا زَالَ رَبُّ الدِّيَارِ يُبَشِّرُنَا

كُلَّ يَومٍ بِمَا يَفْتَئُونَ؛

يُسَمُّونَهُ بِالسَّلامْ !!

كَـلامٌ !!

كَـلامٌ .. كَـلامْ !!

فَيَا رَبِّ سَلِّمْ.

****

ذَا أَنَا يَا سَمِيحْ ..
تَعَرَّيْتُ قُدَّامَ آيَاتِكَ الْبَيِّنَاتِ
تَطِيرُ بِأَجْنِحَةِ الرِّيحِ
تَغْدُو سَحَابًا رُكَامًا
يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ والسُّنْبُلاتْ !!
وأَمَّا أَنَا .. مَا أَنَـا ..
فَرَهِينُ السُّفُوحِ
– عَلَى حَالَتِي –
فِي انْتِظَارِ الْمَمَاتِ !!
فَيَا رَبِّ سَلِّمْ ..
قُبَيْلَ الْفَوَاتْ !!
****
يَا سَمِيحُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ ؛
أُرِيدُ أَنْ أَتُوبَ عَنْ خَطِيئَتِي،
أُرِيدُ أَنْ أَتُوبَ أُرِيدُ ...
أَنْ أُقَبِّلَ جَبْهَةَ الْوَطَنِ أُرِيدُ ..
أَنْ أَبُوسَ كَفَّيِ الْوَطَنِ !!
أُهْرِقَ الدُّمُوعَ تَحْتِ أَقْدَامِ الْوَطَنِ !!!
آهَ ..
وأُقَبِّلُ التُّرابَ مِنْ خُطَى جُدُودِي !!
... ...
يَا "سَمِيحُ"، يَا "سَمِيحُ" ؛
سَلْ رَفِيقَكَ الْمَلاكَ :
هَلْ لِمِثْلِي أَنْ يَتُوبْ ؟!
أَمَ انَّهُ الْهَلاكْ ؟!
أَمَ انَّهُ الْهَلاكْ ؟!

***

نَعَمْ لَمْ تَكُن مَّحْضَ قَافِيَةٍ
إِنَّمَا صَرْخَةٌ لِلْوُجُودِ الْفَسِيحْ !!
وزَلْزَلَةٌ لِلضَّمِيرِ الْكَسِيحْ !!
يَئِزُّ بِهِ الدُّودُ يَأْكُلُهُ ..
وتَنِزُّ الْقُرُوحْ !!!
فَيَا وَيْلَتَا لِلْفُؤَادِ الذَّبِيحِ؛
أَتَبْعَثُهُ دَمْدَمَاتُ الْقَصَائِدِ،
أَوْ غَمْغَمَاتُ الْقَوَافِي،
وشِعْرٌ جَرِيحٌ قَرِيحْ ؟!!
نَعَـمْ.. إِنْ تَكُن مِّنْ فَرَائِدِ
شِعْرِ "سَمِيحْ" !
شِعْرُهُ كَلِمَاتٌ نَّعَمْ ،
وعَذَابٌ فَصِيحْ !
وأَحْرُفُهُ النَّازِفَاتُ النَّغَمْ،
لِي بِسِرِّ الْحَيَاةِ تَبُوحْ !!
إِنَّـهُ مَحْضُ رُوحْ !!
نَبِيلٌ؛
كَأَحْزَانِ زَيْتُونَةِ الْقُدْسِ؛
تَبْكِي فَتَعْنُو الْجِبَالُ،
وتَجْثُو رُءُوسُ النَّخِيلْ !
شَهِيٌّ؛
كَضِحْكِ بَنَاتِ "الْجَلِيلْ" !
جَمِيلٌ؛
كَوَرْدَةِ خَدِّ الْحَيَاءِ
أَسِيلٌ؛

كَكَحْلِ جُفُونِ صَبَايَا "الْخَلِيلْ" !
ولَثْمَةِ أَيْدِي الْعَذَارَى الْحَلالِ ،
وأَحْلَى .. وأَحْلَى ؛
بَرِيءٌ؛
كَحَبَّةِ قَلْبِ الصَّبِيِّ
طَهُورٌ؛
كَنَافُورَةِ النُّورِ
بَينَ عُيُونِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ؛
نَقَاءٌ؛
كَقَلْبِ فُؤَادِ الْمَسِيحْ !!
***
نَعَمْ لَمْ تَكُن مَّحْضَ قَافِيَةٍ
إِنَّمَا قَبَسٌ يَتَمَدَّدُ
مِلْءَ الْفَضَاءِ الْفَسِيحْ !!
ويَدٌ بِالْمُوَاسَاةِ تَمْتَدُّ لِلْمُتْعَبِينَ ؛
تُرِيدُ تُرِيحُهُمُو مِنْ عَذَابٍ لَّعِينٍ ؛
عَذَابٍ .. طَوِيلٍ فَصِيحْ !!
كَهَذِي السِّنِينِ الْعِجَافِ ؛
ثَقِيلٍ سَقِيمٍ فَضِيحْ !!
... ...
ولَكِنَّهَا ..
كَلِمَاتُكَ تَنْزِعُ آلامَهَا
تَنْسِلُ الرُّوحَ خَيْطًا فَخَيْطًا ،
وحُلْمًا فَحُلْمًا ،
تَهْزِمُ الْهَزَائِمَ بِالْحَرْفِ الْمَبْرُورِ؛
تَبُوحُ بِأَسْرَارِ قَلْبِ الْوُجُودِ

عَسَى يَسْتَرِيحُ؛ فَكَيْ تَسْتَرِيحَ؛
فَتَعْتَنِقَ الْكَائِنَاتُ ؛
حَجَرًا وحَجَرْ ،
شَجَرًا وَشَجَرْ !!
أَيَعْتَنِقُ الْحُبَّ قَلْبُ الْبَشَرْ ؟!
.. .. ..
فَيَا إِنَّ قَلْبِي عَلَيْكَ "سَمِيحْ" !!
ولَهْفَ فُؤَادِي عَلَى حُلْمِكَ الْمُسْتَبَاحِ ..
ولَهْفِي فَلَهْفِي عَلَى الْوَطَنِ الْمُسْتَبَاحِ، أَوِ الْمُسْتَبِيحْ !!!
تُرِيدُ بِهَذِي الْقَوَافِي اعْتِنَاقَ قُلُوبِ الأَنَاسِيِّ والْجِنِّ والْكَائِنَاتْ ؟!
أَمَّا وتَصَحَّرَ قَلْبُ الأَخِلاَّءِ قَبْلَ قُلُوبِ الْعِدَا !! يَا هَوَانَ أَلاَ ...
يَا هَوَانَ !!!!!
أَلاَ إِنَّ كُلَّ الأَغَانِي هَبَاءٌ هُنَا ... والْمُنَى بَيْنَنَا ...
قَبْضُ رِيحْ !!!
***
ولَكِنَّهُ هُوَ لا .. هُوَ لا ...
إِنَّمَا ...
هِيَ تِلْكَ هِيَ "الْقُدْسُ" يَا سَيِّدِي
– مِثْلَمَا أَنْتَ قُلْتَ –
– ونَقُولُ –
بَاقِيَةٌ رُغْمَ كُلِّ الأَسَاطِيرِ
والْمُجْرِمِينَ الْكِبَارْ !!!
ورُغْمَ احْتِكَامِ الْحِصَارِ ؛
هِيَ الْقُدْسُ .. بَاقِيَةٌ ،
والأَسَاطِيرُ .. زَائِلَةٌ ،
والْمُرَابُونَ والْمُجْرِمُونَ الْكِبَارْ !!!

فَأَيُّ حِصَارٍ يُطَوِّقُ عَزْمَ النَّهَارِ ،
ويَعصِبُ عَيْنَ النَّهَارْ ؟!!
وأَيُّ جِدَارٍ يَقُولُونَ عَنْهُ ؟!
أَمَا قَدْ بَنَتْهُ ..
يَدٌ أَوْهَنَتْهَا الذُّنُوبُ ،
وأَوْهَنَهَا عَزْمَةُ الثَّائِرِينَ ،
وَرَاءَ الْجِدَارْ ؟!!
فَرَاحُوا يُقِيمُونَ – الْجَرَاذِينُ –
مِنْ خَلْفِ كُلِّ جِدَارٍ جِدَارًا ؛
وكُلُّ جِدَارَيْنِ بَيْنَهُمَا خَنْدَقٌ
لَيْسَ فِيهِ جُنُودٌ ولَكِنْ ..
شِرَاكٌ وآبَارُ نَارْ !!
لِتَقْبِضَ كُلَّ نَبِيءٍ
يَمُرُّ مِنَ الثَّائِرِينَ وفِي كَفِّهِ
قَبْضَةٌ ..
مِنْ حَشَاشِ النَّهَارْ !!
ومَرَّ الْعَتَارِيسُ مِنْ بَطْنَ "غَزَّا"
يَؤُزُّونَ بَعْدَ الْمَتَارِيسِ أَيَّانَ أَزَّا ؛
بِغَاشِيَةِ اللَّيْلِ تَذْرُو الْجَرَاذِينَ ،
ثُمَّ يَعُودُونَ فِي الصُّبْحِ رُسْلاً ،
يُزِيحُونَ عَنَّا مَرَارَ الدُّهُورِ،
يُهِزُّونَ رِيحَ الْبَوَارِ الزَّكِيمِ ؛
ولَوَّحَ فَارِسُهُمْ بِدَلِيلِ الْبِشَارَةِ،
حَقَّ يَقِينِ الْعُيُونِ !!
إِذَنْ مَا لِقَلْبِي سَقِيمْ ؟!!!
****

فَيَا سَيِّدِي ..
وشَقِيقَ عَذَابِ الْيَتِيمْ !
ويَا شِطْرَ حُلْمِي الْوَحِيدِ الْقَدِيمْ !!
هِيَ الْقُدْسُ بَاقِيَةٌ ..
رُغْمَ هَذَا الْجَحِيمْ !!
فَأُمُّ الْقُرَى
فِي يَدِ اللهِ بَاقِيَةٌ
لا يَدِ الْمُجْرِمِينْ !!
وأُمُّ الْقُرَى والْقِرَى
فِي قُلُوبِ النَّصَارَى،
وأَفْئِدَةِ الْمُسْلِمِينْ !!
بِآيَاتِ كُلِّ كِتَابٍ طَهُورٍ
وفِي كُلِّ دِينٍ تَنَزَّلَ
بِالنُّورِ لِلْعَالَمِينْ !!
فَكُلُّ النَّبِيئِينَ صَلُّوا بِهَا جُمْعَةً
دُونَ كُلِّ الْبِلادِ – عَلِمْنَا –
وكَانَ الإِمَامَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ الأَمِينْ !
وأُمُّ الْقُرَى ...
هِيَ مَهْدُ الصَّوَامِعِ لِلْعَابِدِينَ،
وأُمُّ الْمَسَاجِدِ لِلسَّاجِدِينَ،
وقُبَّةُ أَفْئِدَةِ السَّائِحِينْ !!
وأُمُّ الْقُرَى هِيَ أُمُّ الْقُرَى
قِبْلَةُ الرُّوحِ
مُنْذُ أُلُوفِ السِّنِينْ !!
فَإِنْ هَانَتِ الْقُدْسُ يَوْمًا عَلَيْنَا
فَمَهْمَا تَهُنْ .. !!

هِيَ لَيْسَتْ تَهُونُ عَلَى اللهِ
مَهْمَا يَكُنْ أَبَدًا
لا تَهُونْ.

يَــرُوحُ زَمَــانٌ .. ويَــأْتِي زَمَــانٌ
ومَــنْ ذَا يُرَاقِــبُ رَكْــبَ الزَّمَــنْ
تَقُــومُ بِــلادٌ .. وتَعْلُــو بِــلادٌ
وأَكْثَــرُ هَــذِي الْبِــلادِ انْهَــدَمْ
فَأَيْــنَ الْمَمَالِــكُ مِــنْ عَهْــدِ عَــادٍ
وآلِ ثَمُــــــــــــودٍ .. وآلِ إِرَمْ
ومِــنْ زَمَــنِ الْفَارِعِــينَ الْقُــدَامَى
شُــدَاةِ الْبُــرُوجِ .. بُنَــاةِ الْهَــرَمْ
ومِــنْ عَهْــدِ آلِ جَــدِيسٍ وطَسْــمٍ
وكُــلِّ الَّــذِينَ قَضَــوْا مِــنْ قِــدَمْ

... .

تَرُوحُ أُمَمْ !!
وتَجِيءُ أُمَمْ !!
وكُلٌّ تَهَاوَى بِبِئْرِ الْعَدَمْ

... .

... .

ولَكِنَّهَا الْقُدْسُ كَانَتْ
مَعَ الْبَدْءِ كَانَتْ
فَعَاشَتْ مَعَ الدَّهْرِ
عَصْرًا بِعَصْرٍ
ويَوْمًا بِيَومْ !!
وعَاشَتْ مَعَ الأَرْضِ
عُمْرًا بِعُمْرٍ،

وحُلْمًا بِحُلْمٍ،

ووَهْمًا بِوَهْمْ !!

وزَالَ الْجَمِيعُ،

ولَمَّا تَزُلْ !!

رُغْمَ سُنَّةِ هَذَا الْوُجُودِ الزَّوَالْ !!

فَكُلُّ ابْتِدَاءٍ لَّهُ مُخْتَتَمْ !!

....

ولَكِنَّهَا الْقُدْسُ

هَا تَتَحَدَّى الزَّوَالَ؛

بِقَلْبٍ مَّتِينٍ مَّتِينٍ ..

ورَأْسٍ وَسِيمٍ أَشَمّْ !!

فَلَمْ تَنْكَسِرْ بِانْكِسَارِ أَحَدْ !

ولَمْ تَكْتَرِثْ بِانْحِسَارِ الْمَدَدْ !!

وتَغْزِلُ مِنْ حُزْنِهَا الْمَرْيَمِيِّ خُيُوطَ الْجَلَدْ !!!

وتَنسِجُ مِنْ رُّوحِهَا الأَزَلِيِّ لِبَاسَ الأَبَدْ !!!

بِعَزمٍ شَدِيدٍ .. حَدِيدٍ ..

كَعَهْدِي بِهَا دَائِمًا وأَشَـدُّ ؛

هِيَ الْقُدْسُ،

بَاقِيَةٌ كَبَقَاءِ السَّمَاءِ،

وشَامِخَةٌ كَشُمُوخِ السَّمَاءِ،

وقَادِرَةٌ كَرُعُودِ السَّمَاءِ،

وبَرْقِ السَّمَـاءْ !!

ومُفْعَمَةٌ بِالضِّيَاءِ،

كَشَمْسِ السَّمَـاءْ !

هِـيَ الْقُدْسُ

مُفْعَمَةٌ بِالضِّيَاءْ !!

وكُلُّ جِدَارٍ يُطَوِّقُهَا

فِي أُتُونِ الْحِصَارْ !

غَدًا سَتُهَدِّمُهُ الْقُدْسُ

فِي فَلَقِ النُّورِ

ثُمَّتَ يَمْرُقُ مِنْهُ النَّهَارْ !!

ولَوْ كَانَ أَلْفُ جِدَارٍ وأَلْفُ جِدَارْ !!

هِيَ الْقُدْسُ

تَأْبَى الْخُضُوعَ،

وتَأْبَى الْخُنُوعَ،

وتَأْبَى الْفِرَارْ !!!

فَحِكْمَتُهَا

تَرْفُضُ الإِنْكِسَارْ !!!

هِيَ الْقُدْسُ.

***